بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَقُّ فِي الْحَيَاةِ بَيْنَ الشَّرَائِعِ السَّمَاوِيَّةِ وَالْمَوَاثِيقِ الدَّوْلِيَّةِ ١٩ رَبِيعٍ الْآخِرِ ١٤٤٥هـ

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ كَانَتْ رِسَالَةُ الْإِسْلَامِ رِسَالَةَ بِنَاءٍ وَتَعْمِيرٍ، لَا رِسَالَةَ هَدْمٍ وَتَدْمِيرٍ، وَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مَا جَاءَتْ بِهِ بَعْدَ تَوْحِيدِ اللهِ ﷻ حِفْظَ النُّفُوسِ، وَصِيَانَةَ الْأَعْرَاضِ، وَحِمَايَةَ الْحُقُوقِ، فَسَنَّتِ الشَّرَائِعَ وَالْأَحْكَامَ الَّتِي تَكْفُلُ ذَلِكَ، فَحَرَّمَتْ إِزْهَاقَ الْأَرْوَاحِ، وَسَفْكَ الدِّمَاءِ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَرَتَّبَتْ عَلَىٰ ذَلِكَ أَشَدَّ الْعُقُوبَاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.

لَقَدْ جَعَلَ اللهُ ﷻ التَّعَدِّيَ عَلَىٰ حَيَاةِ الْإِنْسَانِ الْمَعْصُومِ مِنَ الْكَبَائِرِ وَالْجَرَائِمِ الَّتِي تُورِدُ صَاحِبَهَا الْمَهَالِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا»، وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الْأُمُورِ الَّتِي لَا مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا: سَفْكَ الدَّمِ الْحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ»، وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: «قَتْلُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ مِنْ زَوَالِ الدُّنْيَا»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ الْمَقْتُولُ بِالْقَاتِلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَاصِيَتُهُ وَرَأْسُهُ بِيَدِهِ، وَأَوْدَاجُهُ تَشْخَبُ دَمًا، يَقُولُ: يَا رَبِّ هَذَا قَتَلَنِي حَتَّىٰ يُدْنِيَهُ مِنَ الْعَرْشِ»، وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ قَتْلَ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ بِغَيْرِ حَقٍّ كَقَتْلِ النَّاسِ جَمِيعًا، وَإِحْيَاءَهَا كَإِحْيَاءِ النَّاسِ جَمِيعًا، فَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ

فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾، فَإِذَا كَانَ هَذَا الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ فِي قَتْلِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَكَيْفَ بِتَدْمِيرِ الْبُيُوتِ وَالْمُدُنِ وَالْقُرَىٰ، وَهَدْمِهَا عَلَىٰ رُؤُوسِ أَصْحَابِهَا، وَقَتْلِ مَنْ فِيهَا مِنَ الشُّيُوخِ وَالنِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، وَهَدْمِ الْمَسَاجِدِ وَتَفْجِيرِهَا بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْمُصَلِّينَ، وَتَفْخِيخِ الْأَسْوَاقِ وَالشَّوَارِعِ بِمَنْ فِيهَا مِنَ الْمَارَّةِ الْآمِنِينَ.

عِبَادَ اللهِ: لَقَدْ جَنَتِ الْأُمَّةُ عَلَىٰ نَفْسِهَا، حَتَّىٰ صَارَتْ مَضْرِبَ مَثَلٍ لِلِاضْطِهَادِ وَالْقَهْرِ، بَعْدَمَا كَانَتْ أَعَزَّ أُمَّةٍ، أَخْرَجَ الْحَاكِمُ فِي «مُسْتَدْرَكِهِ»، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الصَّحِيحَةِ»، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: خَرَجَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَىٰ الشَّامِ وَمَعَنَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَأَتَوْا عَلَىٰ مَخَاضَةٍ، وَعُمَرُ عَلَىٰ نَاقَةٍ لَهُ، فَنَزَلَ عَنْهَا، وَخَلَعَ خُفَّيْهِ، فَوَضَعَهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِهِ، وَأَخَذَ بِزِمَامِ نَاقَتِهِ فَخَاضَ بِهَا الْمَخَاضَةَ، فَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا، تَخْلَعُ خُفَّيْكَ وَتَضَعُهُمَا عَلَىٰ عَاتِقِكَ، وَتَأْخُذُ بِزِمَامِ نَاقَتِكَ، وَتَخُوضُ بِهَا الْمَخَاضَةَ؟ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ أَهْلَ الْبَلَدِ اسْتَشْرَفُوكَ، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَوَّهْ! لَمْ يَقُلْ ذَا غَيْرُكَ أَبَا عُبَيْدَةَ جَعَلْتُهُ نَكَالًا لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ الْعِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللهُ.

فَوَاعَجَبًا مِنْ حَالِ الْكُفَّارِ الْغَرْبِيِّينَ!! مَا زَالُوا يَتَبَجَّحُونَ بِأَنَّهُمْ رُعَاةٌ لِحُقُوقِ الْإِنْسَانِ أَيْنَمَا كَانَ، كَذَبُوا، فَأَيْنَ حُقُوقُ الْإِنْسَانِ فِي فِلَسْطِينَ مَعَ هَذَا التَّدْمِيرِ وَالتَّهْجِيرِ وَالتَّخْرِيبِ وَالْقَتْلِ الْجَمَاعِيِّ؟!

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ رَاعَىٰ الْإِسْلَامُ حُقُوقَ الْإِنْسَانِ قَبْلَ أَلْفٍ وَأَرْبَعِمِائَةِ عَامٍ، وَذَلِكَ يَتَّضِحُ فِيمَا يَأْتِي:

الْأَوَّلُ: الْإِسْلَامُ حَرَّمَ إِسْقَاطَ الْجَنِينِ، وَأَوْجَبَ عَلَىٰ قَاتِلِهِ بَعْدَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ غُرَّةً، وَهِيَ نِصْفُ عُشْرِ دِيَةِ الرَّجُلِ، وَدِيَةُ الرَّجُلِ الْمَقْتُولِ خَطَأً مِئَةُ نَاقَةٍ، وَأَلْزَمَ الْجَانِيَ بِالْكَفَّارَةِ، وَهِيَ صِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ.

الثَّانِي: الْإِسْلَامُ حَرَّمَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَمَنَّىٰ الْمَوْتَ. أَخْرَجَ أَصْحَابُ الْكُتُبِ السِّتَّةِ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ،

قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مُتَمَنِّيًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي».

الثَّالِثُ: الْإِسْلَامُ حَرَّمَ الِانْتِحَارَ، وَهُوَ أَنْ يَقْتُلَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ بِهِ جُرْحٌ، فَجَزِعَ، فَأَخَذَ سِكِّينًا فَحَزَّ بِهَا يَدَهُ، فَمَا رَقَأَ الدَّمُ حَتَّىٰ مَاتَ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: بَادَرَنِي عَبْدِي بِنَفْسِهِ، حَرَّمْتُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»، وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَدَّىٰ مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّىٰ فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّىٰ سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ، فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا».

الرَّابِعُ: الْإِسْلَامُ حَرَّمَ قَتْلَ الْمُعَاهَدِ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا».

الْخَامِسُ: الْإِسْلَامُ حَرَّمَ قَتْلَ الْمُؤْمِنِ بِغَيْرِ حَقٍّ. أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ الْمِقْدَادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الْكُفَّارِ فَقَاتَلَنِي، فَضَرَبَ إِحْدَىٰ يَدَيَّ بِالسَّيْفِ فَقَطَعَهَا، ثُمَّ لَاذَ مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ، أَفَأَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللهِ بَعْدَ أَنْ قَالَهَا؟ قَالَ: رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّهُ قَدْ قَطَعَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ ذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَطَعَهَا، أَفَأَقْتُلُهُ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقْتُلْهُ، فَإِنْ قَتَلْتَهُ فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أَنْ تَقْتُلَهُ، وَإِنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ الَّتِي قَالَ».

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ سُنَّةَ اللهِ فِي خَلْقِهِ أَنْ يَسْتَخْلِفَ فِي الْأَرْضِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، وَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا

عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾. إِنَّ الْأُمَّةَ تَبْقَىٰ عَاجِزَةً عَنْ أَدَاءِ رِسَالَتِهَا إِذَا أَخْلَدَتْ إِلَىٰ التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ وَالْمَلَاهِي، وَانْغَمَسَتْ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْمَلَذَّاتِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا﴾. فَمِمَّا يُعِيقُ الْمُسْلِمَ عَنْ أَدَاءِ رِسَالَتِهِ الِانْدِفَاعُ خَلْفَ مُغْرِيَاتِ الْحَيَاةِ وَفِتَنِهَا، وَلَا شَيْءَ أَفْسَدُ لِلْقَلْبِ مِنَ التَّعَلُّقِ بِالدُّنْيَا وَالرُّكُونِ إِلَيْهَا، وَإِيثَارِهَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ. إِغْرَاءُ الدُّنْيَا وَالْوُقُوعُ فِي شِبَاكِهَا يُقْعِدُ الْمُسْلِمَ عَنِ التَّطَلُّعِ إِلَىٰ الْآخِرَةِ وَالْعَمَلِ لَهَا، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ﴾، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ سُنَّةَ اللهِ الَّتِي لَا تَتَبَدَّلُ. فَالْحَقُّ إِذَا جَاءَ زَهَقَ الْبَاطِلُ، فَالْبَاطِلُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَثْبُتَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾، وَإِنَّ ظُهُورَ الْبَاطِلِ وَبَقَاءَهُ مُنْتَفِشًا فَتْرَةً مِنَ الزَّمَنِ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ اللهَ تَارِكُهُ، أَوْ أَنَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ بِحَيْثُ لَا يُغْلَبُ، أَوْ بِحَيْثُ يَضُرُّ الْحَقَّ ضَرَرًا بَاقِيًا قَاضِيًا، أَوْ أَنَّهُ مَتْرُوكٌ لِلْبَاطِلِ يَقْتُلُهُ وَيُرْدِيهِ، كَلَّا، إِنَّمَا هِيَ حِكْمَةٌ وَتَدْبِيرٌ مِنَ الْحَكِيمِ الْخَبِيرِ، يُمْلِي سُبْحَانَهُ لِلْبَاطِلِ لِيَمْضِيَ إِلَىٰ نِهَايَةِ الطَّرِيقِ، وَلِيَرْتَكِبَ أَبْشَعَ الْآثَامِ، وَلِيَحْمِلَ أَثْقَلَ الْأَوْزَارِ، وَلِيَنَالَ أَشَدَّ الْعَذَابِ، قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾. فَاللهُ ﷻ يُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّىٰ يَزْدَادَ طُغْيَانُهُ، وَيَتَرَادَفَ كُفْرَانُهُ، حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَهُ أَخَذَهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ، فَلْيَحْذَرِ الظَّالِمُونَ مِنَ الْإِمْهَالِ، وَلَا يَظُنُّوا أَنَّهُمْ يَفُوتُونَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالَ، قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، وَيَبْتَلِي سُبْحَانَهُ أَهْلَ الْحَقِّ؛ لِيَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيُعْظِمَ الْأَجْرَ لِمَنْ يَمْضِي مَعَ الِابْتِلَاءِ وَيَثْبُتُ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.